مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية

ISSN: 2617-5908

إبداع الدلالة الرمزية في ديوان (مُشقَّر بالسحابة)

للشاعر محمد عبد الباري الفتيح(*)

إعداد

د/ رضوان عبدالحليم علي الأسودي

أستاذ الأسلوبية المساعد بقسم اللغة العربية

بكلية التربية والعلوم والآداب

جامعة تعز- فرع التربة

*)- تاريخ تسليم البحث ٢٠١٩/٥/٢٣م تاريخ قبوله للنشر ٢٠١٩/١٠/١م

ملخص:

تسعى هذه الدراسة التطرق إلى إبداع الدلالة الرمزية في ديوان (مشقر بالسحابة) للشاعر محمد عبدالباري الفتيح باللهجة العامية من خلال معايشتنا لتجاربه المتمثلة بقصائده التي استنبطنا منها هذا الإبداع الدلالي الرمزي.

حيث قسمت الدراسة إلى مبحثين.

المبحث الأول: يتمثل في إبداع الدلالة في الرموز الإنسانية حيث تناول هذا المبحث كثيرا من القضايا وخاصة السياسية منها في مراحل مفصلية من تاريخ الأمة داخليا على مستوى اليمن وخارجيا على مستوى الوطن العربي والعالم.

المبحث الثاني: إبداع الدلالة في الرموز الحيوانية، بمظاهرها المختلفة.

Symbolism in al-Futaiḥ's Collection of Poems, Mushaqqar bi a Saḥābah

Abstract

This study deals with the use of symbolism in Mohammed Abdulbari al-Futaih's collection of poems ***Mushaqqar bi al-Saḥābah*** [Lit. Decorated with a Cloud] [1], which was written in the vernacular Yemeni Arabic. The discussion of the concept of symbolism is based on the analysis of a number of poems which abounds with the use of this creative literary form.

The study is divided into two sections. The first section deals with nature symbolism with its various manifestations. On the other hand, the second section is devoted to the wide variety of historical symbols employed by the poet. In particular, it covers some key political issues that shaped the historical landscape locally, regionally and globally.

[1])-Mashqur or 'Mushaqqar` is a culture-specific term which is widely used in the Taizi variety of Yemeni Arabic to refer to a wrapped bunch of flowers put by ladies under their head-cover or shawls with a view to making them more beautiful.

مقدمة:

الشعر له سلطان على نفوس قارئيه وخاصة حين يحمل معاناة الناس ويتبنى قضاياهم، والتعبير الفني الصادق يدوم بدوام الأزمنة المتعاقبة، والشعر العامي أكثر التصاقا بالعواطف؛ لأنه يجسد التجارب الحياتية المباشرة للناس بسهولة وبساطة، ولهذا يعلق في الوجدان لصدقه وبساطته.

إن عملية الخلق والإبداع الأدبي ماهي إلا إبداع للنص وتعبير ورؤية جديدة للكون وإعادة تشكيل للأشياء بما يتناسب مع رؤية المبدع.

فالإبداع خروج عن المألوف والتقليد في التفكير والسبق لرؤية فكرية جديدة أفضل مما كانت. أو هو تناول شيء جديد لم يُتطرق إليه من قبل.

وقد "قيل الكثير جدًا عن أهمية الترميز في الإبداع. ومما قيل إن المبدع الحقيقي، المبدع الكبير، هو ذلك الذي يستطيع أن يغلف رؤاه ويجعل القارئ المتمرس يشعر باللذة والإثارة وهو يختطف المخفي من النص الأدبي، ولن يستطيع المبدع ذلك إلا من خلال استخدام الرموز، التي من شأنها أن تحرر لغته من سطوة المعنى الخارجي، وأن تمنحه بعدا يبدو للبعض خفيا وللبعض الأخر جليا .وهذا البعد يتمثل في الرمز الذي لم يصل الإبداع إليه إلا بعد تأمل طويل ووقفة مع الأعمال الإبداعية العظيمة، بتجلياتها وما تحمله من أبعاد وتأويلات"(١).

وتشكل المعاناة مفصلا مهما في تجربة الشاعر المعاصر فلا تخرج القصيدة إلا بعد عناء وألم. والشاعر يعيش في واقع يحتم عليه التفاعل مع قضايا أمته وخاصة في الأزمات والمحن، فتتمازج معاناة وطنه بمعاناته الخاصة، فتأتي القصيدة متوحدة الذات والوطن.

والرمز الشعري مرتبط كل الارتباط بالتجربة التي يعانيها الشاعر فتأتي المفردات وقد اكتسبت شحنة عاطفية بالأبعاد والدلالات الخاصة.

والأديب يطلق العنان لمخيلته فيبوح بما عجز عن البوح به بطريقة إيحائية، فيبعث الروح في الجمادات ويكسبها صفات البشرية وهو ما يسمى في الأعمال الأدبية بالأنسنة.

والرمز الشعري الفاعل هو الذي يبدعه الشاعر بعلاقة تقوم بين الرمز ومرموزه لغرض تهييج مشاعر المتلقي.

ويحدد أدونيس الرمز في الشعر بقوله: "الرمز هو ما يتيح لنا أن نتأمل شيئا آخر وراء النص فالرمز هو قبل كل شيء معنى خفي وإيحاء؛ إنه اللغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة، والقصيدة التي تتكون في وعيك بعد قراءة القصيدة؛ إنه البرق الذي يبيح للوعي أن يستشف عالما لا حدود له. لذلك هو إضاءة للوجود المعتم، واندفاع صوت الجوهر"(٢).

والقصيدة الشعرية فضاء دلالي يبدع فيها الشاعر بلغته الخاصة التي يتميز بها بأسلوب يختلف عن الغير فيحوز على رضا المتلقين حين يتخلله الإبداع المتوطن في أعماق النص، حيث لغة الشعر دلالية جمالية ترتقي على اللغة العادية، وتسمو على ما هو تقليدي.

ويعتبر الشعر من أرقى أنواع الفنون الأدبية لما يحمله من قيم جمالية وإنسانية، ولما تتوافر فيه من خصائص فنية مثل الرمز بمصادره المتنوعة.

"وتعد الرموز من أهم وسائل تشكيل الصورة الشعرية، لا سيما في العصر الحديث فاستخدامها يضفي على العمل الشعري عراقة وأصالة، ويكون عاملا مؤثرًا في إغناء الصورة وفي رفد أبعادها أبعادا جديدة وآفاقا متنوعة وكذلك فإن وجود الرمز يستحضر معه مفردات خاصة به، وهذه المفردات تؤدي إلى تخصيب الصورة وإغناء مناخاتها. والرمز وسيلة إيحائية من أبرز وسائل التصوير الشعرية التي ابتدعها الشاعر المعاصر عبر سعيه الدائب وراء اكتشاف رسائل تعبير لغوية، يثري بها لغته الشعرية، ويجعلها قادرة على الإيحاء بما يستعصي على التحديد والوصف من مشاعره وأحاسيسه وأبعاد رؤيته الشعرية المختلفة"(٣).

فللرمز دور فعال في إثراء التجربة بمعان جديدة تنطلق من الواقع المرتبط بعالم الشاعر فيصل إلى الهدف عن طريق الإيحاء المعبر بالرمز، ووظيفة الرمز أن يوقع في نفس المتلقي ما وقع في نفس الشاعر من شعور وإحساس. "والشاعر لا يخلق صورة من عدم وإنما يختار من الإمكانات المتاحة في اللغة، ويستعين بمدركاته الحسية المختزنة، ويقيم تفاعلا من نوع خاص، ليشكل نظاما لغويا قادرا على إبراز الدلالات التي تحتويها التجربة الشعورية الفنية"(٤). لأن "اللغة في أصلها رموز اصطلح عليها لتثير في النفس معاني وعواطف"(٥).

ولما كان الشعر خلقا وإبداعا وكشفا ورؤى فقد تحتم على الشاعر أن يرتقي بأسلوبه وطرقه الفنية لتقديمها إلى المتلقي بشكل أدبي يسمو عن الأساليب المتداولة ممتزجا بقليل من الغموض الذي يكسب النص شيئا من المهابة.

والشعر ليس وسيلة للتعبير عما يحس به الإنسان من مشاعر وانفعالات في مواجهتها للأحداث فحسب، بل هو طريقة لممارسة الحياة، ومفتاح للدخول إلى أعماقها. والنصوص الشعرية الخالدة هي الغنية بالرموز الدالة والمفتوحة على كل القراءات.

وهكذا فقد "شغل الرمز حيّزا لا يستهان به في الشعرية قديما وحديثا، فقد أولاه الشعراء العناية التي يستحقها؛ بالنظر لما ينطوي عليه من أسباب (شعرية) وأسباب تتصل بسعة ثقافتهم وعمقها، لا سيما في الشعر الحديث، فقد أجبرت الشعراء مشاكل سياسية في المقام الأول إلى اللجوء إليه"(٦).

والطبيعة هي المُعَلِّم الأول الذي ألهم الشعراء الفيض الزاخر من الكلمات واتخاذها رموزا بعيدة الأبعاد والدلالات التي يرمون إليها في سياقاتهم التعبيرية في مواطن النص.

ولذا فالرمز هو "الدلالة على ما وراء المعنى الظاهري مع اعتبار المعنى الظاهري مقصودا أيضا"(٧)، إضافة إلى أنه "يمنح القصيدة أعماقا تستثير الفكر وتفسح آماد الخيال"(٨).

وشاعرنا يعشق الجمال حيث سعى إلى تجسيده والتعبير عنه بقالب رمزي إبداعي، فللرمز أثره الجمالي الواضح الذي يختلف من قصيدة لأخرى فقد قدم بفطريته وموهبته الشعرية مزيجا من الإبداع والجمال.

والشاعر بطبيعته "ميَّال للتلميح بدلا من التصريح وهذا يعطي لشعره صفة الجمالية والشاعرية والخروج عن المألوف حتى يمنحها بُعدا خياليا يسرح في فضاءات لا متناهية"(٩).

وديوان محمد عبدالباري الفتيح (مشقّر بالسحابة) باللهجة العامية يضم الكثير من الدلالات الرمزية الإبداعية وخاصة الرمز الإنسانية والحيوانية ولهذا فقد قسمنا البحث إلى مبحثين:

١. المبحث الأول: إبداع الدلالة في الرموز الإنسانية

٢. المبحث الثاني: إبداع الدلالة في الرموز الحيوانية

مفهوم الدلالة:

وله جملة من التعاريف فبعضهم يراه دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى أو هو فرع من علم اللغة يتناول دراسة الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى(١٠). "والتعريف الآخر يجعل لعلم الدلالة موضوعَ قوامِهِ أيَّ شيء أو كل شيء يقوم بدور العلامة أو الرمز، وهذه العلامات أو الرموز ربما تكون علامات أو رموزا بعضها يأخذ حيّزَ الإشارة مثل إيماءة الرأس وبعضها الآخر يأخذ صورة كلمات وجمل. وعلم الدلالة في حقيقته يركز على دراسة الرموز اللغوية على اعتبارها ذات أهمية خاصة بالنسبة للإنسان على الرغم من اهتمامه بالرموز الواقعة خارج النطاق اللغوي"(١١).

وأما الرمز في المعجم الأدبي: "كل إشارة أو علامة محسوسة تذكر بشيء غير حاضر من ذلك: العلم رمز الوطن، الكلب رمز الوفاء، الأرز رمز لبنان..."(١٢).

المبحث الأول:

إبداع الدلالة في الرموز الإنسانية:

ونقصد بالرموز الإنسانية التي تطرق لها الشاعر في قصائده والتي استقاها من الجنس الإنساني.

التشكيل التعبيري في القصيدة يعتمد على أسلوب الإيحاء الدلالي مدفوعا بالشحنة النفسية لمفردات اللغة التي تحمل في طياتها تجارب الشاعر ولواعجه النفسية.

ولهذا يبرز الشاعر رؤيته "الخاصة تجاه الوجود، ويعمل على تخصيصها، كما أنه يمكن الشاعر من استبطان التجارب الحياتية ويمنحه القدرة على استكناه المعاني استكناها عميقا، مما يضفي على إبداعه نوعا من الخصوصية والتفرد. والشاعر إذ يستمد رموزه من الطبيعة، يخلع عليها من عواطفه ويصبغ عليها من ذاته ما يجعلها تنفث إشعاعا وتموجات تضج بالإيحاءات، فتصبح الكلمات الشفافة القريبة المعنى مكثفة ومحملة بالدلالات. ولا فرق بين كلمة وأخرى في هذا المجال؛ لأن كل مفردات اللغة لها أن تستخدم في الشعر استخداما رمزيا"(١٣).

والشعر هو معالجة فنية تتداخل فيه الحدود، وتتعدد فيه الإيحاءات، وتلتحم فيه المادة بالروح.

"ولا تكون هناك كلمة هي الأصلح من غيرها لكي تكون رمزا، إذ المعول في ذلك على استكشاف الشاعر للعلاقات الحسية التي تربط الشيء بغيره من الأشياء"(١٤).

- **وسنبدأ بالرمز الإنساني الأول وهو المرأة:**

إن اتخاذ المرأة رمزا ليس أمرا جديدا، فالمرأة كانت الحاضر الأكبر في الشعر عامة، فهي في الغالب رمز الوطن ورمز الدفء والحنان وعنوان الانتماء. وقد حفل شعر الشاعر "بتوظيف رمز المرأة معادلا موضوعيا للوطن، وتعبيرًا منه عن الحالة التي آل إليها الوطن، إذ لم يجد مخرجا للتعبير عن هذه الحالة إلا باستغلال رمز المرأة، الذي كثيرا ما شاع في الشعر القديم والحديث، حتى وإن اختلفت الطرق ووجهات النظر، لكن يبقى رمز الأنثى رمزا مميزا لا تخلو منه الصورة الشعرية في أغلب الحالات، كما أنها تمثل المشاعر والأحاسيس الرقيقة، التي أمكن للشاعر استغلالها في التعبير عن الكثير من القضايا المتعلقة بالوطن"(١٥).

حيث يقول:(١٦).

الراعية حتى قلب الصخر يرثي لها
لا زوجوها ولا خلُّوا لها حالها
دق الهوى بابها
فحكمت في هواها مثلنا قلبها
لكن يا ويل أهلها
كم شوَّهوا قصدها
وأشعلوا بركة البنزين من حولها
تَجَوَّرتْ بالقبيلة تحسب الناسْ ناسْ
والناس أشباح من يوم ما غطس ذو نواس
وأقسمت مالها غير أحمر العين بديل

فالراعية رمز لليمن وقد تكررت كثيرًا هذه اللفظة في قصائده، فاليمن في نظره كالراعية المسكينة المكسورة الجناح، لديها مشاعرها وتطلعاتها ولحالها المزري يرق حتى قلب الصخر، هي في مرحلة النضج كأي فتاة وصلت سن الزواج والطبيعي للفتاة أن تختار من تحبه وتوافق عليه فالقلب هو الحكم والزواج هو سنة الله في خلقه، لكن المشكلة تكمن في أهلها، حيث وقفوا في طريقها وأملها ومستقبلها، وشوهوا كل قصد تميل إليه لغرض في نفوسهم، ويرمز بالأهل، لكل جيرانها المحيطين بها، حيث رمز إليهم بقوله (وأشعلوا بركة البنزين من حولها)، وبركة البنزين رمز دلالي إبداعي للمخزون النفطي الهائل الذي يمتلكه الجيران، حيث استخدموه لمنعها من الوصول إلى مرادها، فلا دعموها كي تستقر بأمنها ، ولا تركوا لها حالها فهي في صراع عنيف، حاولت أن تستجير بالقبيلة، لعلها تتجدها ممّاهي فيه، لكن للأسف، بركة البنزين حالت دون ذلك فالقبيلة رمز دلالي للقيود الداخلية، كون المد النفطي سيطر على أقيال القبيلة ومنعها من تحقيق آمالها، حيث الناس صاروا أشباحا، والأشباح رمز دلالي إبداعي لأشكال ناس مفرغين من الإنسانية، وذلك من يوم ما غطس في البحر ذو نواس، فالشاعر يستدعي الرمز التاريخي (ذو نواس الحميري) الذي رفض الاستسلام للأحباش وقاتل وعندما أحس أن لا أحدا معه ركب فرسه وذهب إلى البحر. وما زالت الراعية في

نضالها وكفاحها رافضة الواقع المُكَبِّل لها، حيث أقسمت (مالها غير أحمر العين بديل)، وأحمر العين رمز إبداعي للسياسي الحكيم الذي تنتظره ليخلصها من هذا العناء ويفك قيودها، والأيام حبالى بالمفاجئات.

ومن تناولاته الخاصة استخدامه لضمير المخاطب (أنت) وهو رمز للمرأة الوطن التي من خلالها يخاطب الوطن وكأنها امرأة معشوقة بقوله:(١٧)

بحسي كل لحظة أنت ... وحلمي في المنام

ودقات الفؤاد باسمك

وفي البال انحفر رسمك

كذا فليعشقوا ولاّ على الدنيا السلام.

نقشنا موعد اللقيا على دمع الغيول

عزمنا الأهل والجيرة

وشهدنا رمال صيرة

وجبينا لهيب الشوق ذكرى للعذول

فالشاعر يلبس المرأة ثوبا لإبداع الدلالة الرمزية عن الوطن حيث اتخذها "معادلا موضوعيا لحب الوطن، لأنها تمثل الخصوبة والنماء، والأمر نفسه بالنسبة للأرض والوطن"(١٨). وهو يختم المشهد بحفل عرائسي يضم الأهل والجيرة فوق رمال (صيرة) منطقة سياحية في عدن، ثم يصرح أن اللقيا قد جبّت وأنهت نار ولهيب الأشواق لتصبح ذكرى مؤلمة للعذال.

ويقول كذلك: (١٩).

أبو مطر حَبّكْ يا(كحلا) وأخلصْ

وغازلك وشَقَّرِكْ وعَرْقَصْ

ياويل من عابكْ أو بِكْ تِربَّص

والله العظيمْ لَاْ فَلّقُهْ بِمَفْرَصْ

فالكحلاء رمز أنثوي يوحي به لبلاده اليمن، والشُّقُرْ نبات عطري تضعه المرأة حول خديها، وأما قوله (عرقص) (أي شكَّل باقة من الأزهار لخديها وطلا حاجبيها بالزَّبَدْ وهو نوع من الطيب)، ومعنى (فلقه) أي فتته إلى قطع صغيرة، و(المفرص) قضيب من حديد يستخدم في تفتيت الأحجار، فالشاعر يمتدح نفسه بحبه (للكحلاء) التي هي (بلاده اليمن) وهو رمز أخر يسوقه الشاعر ويوظفه لإبداع الدلالة الرمزية في سياق التعبير عن عشقه لوطنه، ويحذر كل المتربصين به أنه لن يقف مكتوف الأيدي في الدفاع عنه، كما هي طبيعة اليماني.

ويقول أيضا مخاطبا المحبوب المتجسد بالمرأة الوطن:(٢٠)

أنا ربيع من غير معنى

لَنْتَ عن عيني بعيدْ

وِذا دَنيْتْ دنيا المُعَنَّى

تَكْتسبْ معنى جديدْ

ومعنى (لَنْتَ) في اللهجة الدارجة (إذا أنت)

فالشاعر يؤكد أنه في مقتبل عمره كالربيع بين الفصول، لكن ربيعه هذا خال من كل معنى، ربيعٌ فاترٌ، لماذا ياترى؟ لأن محبوبه بعيد عن عينيه، وهو يرمز بالمحبوب للوطن في فترة ابتعاده عنه، فهل هناك أغلى من الوطن ليكون محبوبا. لكن الأمر يختلف إذا اقترب الوطن من دنيا (المُعَنَّى) ويقصد بالمعنى الشاعر نفسه وارتباطه به وتُكتسب المعاني الجديدة عندما يدنو منه الوطن ،حيث يتولد إبداع الدلالة الرمزية من خلال سبك الكلمات التي يتخفى وراءها، لأنه يريد أن يقول: إن الوطن مُصادرٌ في قبضة الظلم وانعدام العدالة. وهكذا فالشاعر "يستلهم الرمز في شعره ولا سيما رمز المرأة ليتستر عليها في طريقة عرضه لخطابه الشعري وتَخَفِّيْهِ من خلالها حتى لا يجعل خطرا يطرأ عليه"(٢١)، ولذلك نجد أن القوة " في أي استخدام خاص للرمز لا تعتمد على الرمز نفسه بمقدار ما تعتمد على السياق"(٢٢).

ويستدعي قصة الدودحية بقوله: (٢٣)

راجعْ أنا لكْ وا (دَوْدَحِيَّةْ)

راجعْ معي لِكْ أغلى هديهْ

أباشر الحول والحويَّهْ

وَاهْنَأْ بعمري لا يضيعْ عليَّ

"فالدودحية هي أغنية شعبية يمنية قديمة تدور حول قصة حدثت في بدايات القرن التاسع عشر، ومصادر أخرى تشير إلى ثلاثينيات القرن العشرين بين شاب وفتاة، في مدينة (خُبان) نشأت بينهما علاقة حميمية مرفوضة في المجتمع اليمني، وانتشر خبرها في القرية حتى وصل الخبر للقاضي الذي حكم بتعزيرهما رغم أنهما من طبقة مرموقة فارتبطت الفضيحة بالفتاة أكثر من الشاب وألفت الكثير من الأغاني بشأن القصة"(٢٤)، وأصبحت الفتاة رمزا لتحدي المجتمع وخروجها مع من أحبته، وكل الأغاني التي ألفت تبدأ باسم (الدودحيه) أو (يا بِنْتْ الدودحي)، وشاعرنا يستدعي هذه القصة كرمز مجتمعي يقصد من خلاله الأرض التي ترفض القيود والظلم وتسعى للحرية التي يعشقها كل الناس. "وعلى عظم ما توجد من أهمية للرمز وما يحتوي من دلالات ومعان مخفية، فإننا قد نلمس في بعض الأحيان بأن الشاعر يعبّر عن المرأة الرمز من خلال الوطن؛ لأنها والوطن سيَّان لا يفترقان، ويعدهما بمثابة الحضن الدافئ والأم الحنون والملاذ الآمن الذي يلتجئ إليه الشاعر ليحس بدفء الكلمة وصدق التعبير وجمالية الخطاب الشعري"(٢٥).

ويجعل من شخصية (حُمَيْد) رمزا إنسانيا للمواطن النبيل بينما يجعل من شخصية (الفَسْل) رمزا لمن يهدر الطاقات ويعبث بالوطن:

بقوله:(٢٦).

- حُمَيْدْ (بالْجِيْدْ) و(ثورْ) حاسِرْ عديمْ القرونْ

علتْ لُهْ هامهْ وطابتْ نفسْ وقَرَّتْ عيونْ

فصاحبْ الجِيْدْ واسألْنِي أُجِيبْ مَنْ تكونْ

و(الفَسْلْ) بالجابرينْ ياما ضِحِكْ عالدقونْ
إذا زرعْ لكْ ذهبْ صَرَبْتْ ذُلَّ الديونْ
وكلَّفَكْ لِتَرَجِّيْ الغَيرْ وشدَّ البطونْ

فحُميدْ تصغير اسم (أحمد) والتصغير هنا للرفع من قيمة الشخص كما يجسده السياق، وقد رمز الشاعر بكلمة (الجيد) للعمل المثابر المكافح والنشاط الدائب، و(ثورحاسر) الثور الحاسر النحيل البُنْيَهْ الذي لا يملك حُميد سواه حيث وصفه بعديم (القُرون) أي أنه غير مؤهل لحراثة الأرض، فالأرض تحتاج إلى ثور مكتمل الجسم وله قرنان كبيران يستطيع أن يجر المحراث ويقلب التربة كما هي عادة العاملين في حرث الأرض، والشاعر يجمع بين صغر سن الرجل (حميد) وثوره النحيل الذي لم يكتمل نموه بعد، لكنْ بِنِيَّتِهِ وإصراره والاعتماد على نفسه استطاع أن يحقق نتائج إيجابية، حيث علَتْ (هامته) ورضتْ نفسه وقرّتْ عيناهْ رغم الإمكانيات البسيطة التي استخدمها.

ثم يخاطب الشاعر القارئ بقوله (فصاحبْ الجِيْدْ واسألني أجيبْ منْ تكون) معتمدا على قول الشاعر العربي (إن القرين إلى المقارن يُنْسَبُ)، ويقصد بالمصاحبة هنا الالتفاف حول الشخص النافع المحب لوطنه.

ثم يتحدث عن (الفَسْلْ) وهي الشخصية المعاكسة (للجِيْدْ)، فالفسل عند صاحب اللسان هو: "الرَّذَلُ النَّذْلُ الذي لا مروءة له"[٢٧]، فرغم (الجابرين) وهو رمز للداعمين له بالمال والإمكانيات، نجد أن نتيجته هراء وضحكٌ على دقون الناس، والدليل قوله (إذا زرع لك ذهبْ صربتْ ذلَّ الديونْ) فمهما كانت الإمكانيات تذهبْ أدراج الرياح لأن المؤهلات الأخلاقية عند الفسل هي ضحك على الدقون كما صرح بها الشاعر وصربت معناها: حصدت ذل الديون، فالشاعر يوحي بدلالاته ورموزه إلى ضياع المحصول، لأن الموكل بالأرض مفرط بها وعديم الأهلية، وليت الأمر يتوقف عند ذلك فنتيجة التفريط تجبر الناس جبرا إلى ترجي الآخرين ومد اليد إليهم ثم شد البطون وهو رمز دلالي إبداعي للمجاعة المحتومة.

فالشاعر يرمز بالبعد الدلالي لكلمة (الجيد) للمسؤول صاحب الضمير الحي الذي استطاع أن يوفر لنفسه ولشعبه وبلاده استقرارا غذائيا ونفسيا وأمنيا بالاعتماد على الذات وبالإمكانات المتاحة، بينما يناقضه في الصورة الأخرى (الفسل) وهو رمز دلالي آخر يبدعه الشاعر للمسؤول المفرط بإمكانات البلاد وإهدار ثرواتها فيما لا يفيد ولا يعود بالنفع للصالح العام.

ومن قصائده الإنسانية في مقاومة الظلم: (ياللي قلبك حديد) قوله:[٢٨].

الأمم بالشباب
بدأها والمآب
وبإصرارهم تتحدى الصعاب
والخطر تركبه
شرف الانتماء شدهم للحمى والتراب للنما
بالعرق والدماء الشباب خصّبُهْ
إنما عندنا كلما الخير دنا ودفق بالجنى

هبَّتْ اشباحنا في الضحى تنهَبُهْ
الشقاة ناصحين والعيال ضابحين
يخوروا قرص جحين
بس كيس الطحين السكوت هزَّبُهْ
ياشباب اهجلوا واسجعوا وازجلوا
الرضا ما اخيبه
والغضب برْ أمان ما بَعَدْ قرَّبُهْ
ويختم القصيدة بقوله
ياللي قلبك حديد خل لا خوك عصيد
وانت تعرف سعيد لا جوعْ ما أزأبُهْ

يتحدث الشاعر عن أهم عنصر من عناصر التغيير في الأمة وهم الشباب، فبإصرارهم يتجاوزون كل الصعاب والمخاطر، وشرف انتمائهم للوطن وارتباطهم به وبعرقهم وكفاحهم وبدمائهم المسفوحة في سبيله تتمثل السيادة والعزة والكرامة وبعملهم الدائب يتحول الصلد القاحل إلى خصب ونماء.

لكن الشاعر يستدرك كل ذلك فالخير الذي تنتجه الأرض ويحين موسم الجنى تكون الطامة الكبرى حيث تهب أشباحنا في الضحى تنهبه، فالخير متواجد والأرض معطاءة لكن (أشباحنا) وهم رمز للفساد المستشري في البلاد حيث يستأثرون بموارد البلاد وخيراتها وينهبونها (في الضحى) أي جهارا نهارا دون خوف أو وجل ودلالة لفظة النهب أي لا يتركون شيئا لهذا الشعب.

ثم يقول (الشقاة ناصحين)، فالشقاة هم العمال الكادحون الذين يعملون في الحقول الزراعية وفي البناء وفي كل المَوَاطن والمواقع وكلمة (ناصحين) تعني استعدادهم للعمل بكل جهد وهمة وبدون تلكؤ. وفي قوله (العيال ضابحين) فالعيال هم أبناء (الشقاة) الذين يسفح أباؤهم عرقهم ليوفروا لهم لقمة العيش التي تكاد تحتجب عنهم، و(ضابحين) يرمز به إلى ضيق الصدر من الحال المعاش. و(يخوروا قرص جحين) فمعنى يخوروا أي يتوقون ويتطلعون إلى قرص خبز جاف يسد الرمق، فكلمة (جحين) تعني الخبز الجاف الخالي من الزيت .ثم يصل الشاعر إلى السبب الذي أفقد الناس لقمة عيشهم رغم خصوبة أرضهم وكثرة خيرهم بقوله (بسْ كيس الطحينْ السكوتْ هَزَبُهْ) فسكوت الشعب وصبره على مايحصل وعدم رفضه للواقع هو الذي جعل القوت الضروري يغادر بيوتهم، وهو رمز وإبداع دلالي ودعوة خفية للشباب للخروج إلى الشارع للمطالبة بحقوقهم ورفض هذا الظلم المتسلط عليهم.

ثم يطلب من الشباب ترديد (المهاجل والسجع والزجل)، وهي أناشيد شعبية يرددها الناس أثناء العمل للتنفيس عن النفس لكن من ضمن هذه الأناشيد استخدام الشاعر للرمز بقوله (الرضا ماأخيبه)، فالرضا رمز دلالي يبدعه الشاعر للخنوع والاستسلام وما أخيبه تعني أن نتيجته غير مرضية، فالخنوع عمره ما أعطى حقا لأحد.

ثم يأتي بالنقيض الرمزي (للرضا) بقوله (والغضبْ بَرْ أمان مابَعَدْ قَرَّبُهْ) فغضب الشعب هو رفض للظلم وهو بر الأمان للعدالة المحجوبة فطبيعة الغضب يجعل البعيد المنال قريبا وفي متناول الشعب ،والشاعر يستخدم التضاد في هذه الثنائيات لإبراز المتناقضات حيث يبرز الفعل وردة الفعل، فلا يتحقق مطلب ولا مكسب إلا بخروج الشباب مطالبين به وبتحقيقه. وهي رسالة للشباب أن يرفضوا الواقع المؤلم ويثوروا على الظلم إذا أرادوا الحياة الكريمة في أوطانهم.

وفي نهاية القصيدة ينادي الظالم القاسي بقوله (ياللي قلبك حديد)، فالقلب الحديد هنا رمز إبداعي للمستأثر بخير الوطن يخاطبه بقوله (خلي لاخوك عصيد) أيْ أترك لأخيك المسكين الكادح الذي يئن من الجوع قليلا من الزاد فأنت متخم بخيرات الوطن التي حُرمنا منها، و(الْعَصِيدْ) أكلة شعبية مشهورة في اليمن وهي قوت الفقراء وقد رمز بها الشاعر دلاليا إلى القليل من العيش لاستمرار الحياة.

ثم يحذر الظالم بقوله (وأنت تعرف سعيد لا جوع ما أزأبه) فسعيد اسم منتشر في اليمن وحتى اليمن اقترن اسمها بـ (السعيد والسعيدة) تفاؤلا لا واقعا وأما كلمة (ما أزأبه) فيرمز بدلالتها الشاعر إلى ردة فعل الشعب وغضبه ضد المستأثرين بخير الوطن وخاصة حينما تضيق به السبل.

وأغلب قصائد الشاعر الفتيح رغم تقلبات الأحداث إنسانية تدعو إلى اليقضة حيث عاش تقلبات الوطن وأحداثه فرسمت ريشته صورا بديعة ذات حس وطني عال ومن ذلك قوله في قصيدته عن الوحدة اليمنية بعنوان (صورة الآتي):[٢٩].

ياوحدة الشعبْ والإنسانْ بوادي سبأ
مسيرتكْ ظافرةْ ورايتكْ عاليهْ
واعراقْ نخلكْ بأعماق ذاتنا ضاربهْ
لكنْ خطأْ التعبئهْ ولَّدْ أمور سالبهْ
مازالْ أثَرْهَا يهددْ روعةْ التجربهْ
وعادْ حبالْ العمالات راخيهْ سائبهْ
****
فَسيِّجيْ ذاتَنَا وأرضنا الطيبهْ
باحْبَابْ (أيلولْ) و(أكتوبرْ) فصيلْ الإبأْ
بالباذلينْ مُشْ بناسْ (المافيا الحالبهْ)
وِلَّأْ فحلمْ السنيينْ منثورْ مع الريح هَبَأْ
****
والراعيهْ الكحلاءْ تَتْلَمَّسْ حلولْ صائبهْ
ألْمَحْهَا تَرْقُبْ بحسْ رافضْ وروحْ غاضبهْ
سودَ الليالِيْ حبالى بَاسْوأ العاقبهْ
****

والحريهْ والديمقراطيهْ تُهْدَى (جَبَاْ)
على طبقْ منْ ذهَبْ (للفأسْ) و (الْمَهْرَبَهْ)
و(الْحَزْمْ) لابسْ وغصبْ عَنُّهْ (ثَوْبْ مَرْحَبَاْ)
ومنْ يشوفْ صورةَ الآتيْ بعين ثاقبهْ
لَعَنْ أبو الانفلاتْ وشابْ بعزِّ الصِّبَاْ

يتحدث الشاعر عن تجربة الوحدة اليمنية يفصح عنها قوله (بوادي سبأ) لكنه يحذر من التعبئة الخاطئة التي تفرق بين أبناء البلد الواحد والتي تجعل (القلة) يستأثرون بخير (الكثرة) وهي أكبر وأخطر السلبيات التي تهدد روعة التجربة اليمنية المتمثلة بوحدتها الاندماجية حيث (حبال العمالات راخية سائبة) كما وصفها، فحبال العمالات رمز دلالي للإهمال وعدم الحرص من مسؤولي البلاد على سيادتهم والتفريط بها كون هذه (الحبال) الممتدة من البعض راخية سائبة أمام أنظار المسؤولين.

ثم يطلب الشاعر بفعل الأمر(سَيِّجيْ) والتسييج وضع حمايات للإنسان والأرض التي وصفها بالطيبة، وهي مأخوذة من القران الكريم (بلدة طيبة ورب غفور) والتسييج لا بد أن يكون بأحباب (أيلول) و(أكتوبر) وهما رمزان دلاليان لثورتي سبتمبر وأكتوبر اليمنيتين في شمال الوطن وجنوبه، فلا يحمي الأرض والسيادة إلا هؤلاء المناضلون، وليس بـ (المافيا الحالبة) فالمافيا رمز إبداعي للشر والاستئثار ومصادرة الخير والموارد حيث وصفها بـ (الحالبة) وهي تحلب دماء الشعب وقُوَّتَهُ ولقمةَ عيشه. فمالم يكن الأمر كذلك فحلم الوحدة اليمنية مهدد بالاندثار، والريح رمز دلالي للأحداث التي تعصف بالبلاد وتهدد الوحدة واستمرارها.

ثم يتحدث الشاعر عن (الراعية الكحلاء) وهو رمز يكرره الشاعر في كثير من قصائده يشخص به تارة اليمن وتارة أخرى الوحدة اليمنية كما هي في سياق هذه القصيدة، فيفصح القول أنها تتلمس حلولا صائبة، كونها في حيرة من أمرها تتنازعها ارهاصات كبيرة والحلول المأمولة مازالت في علم الغيب فهي تترقب بحسها الرافض وروحها الغاضبة هذه المآلات التي تتخلق في الظلمة، حيث لا مبشرات في الأفق والرؤية تنبئ أن (سود الليالي) وهي رمز دلالي يحمل في طياته إنذارات لمستقبل مجهول سيئ العواقب.

ثم يتحدث عن الحرية والديمقراطية وهي رمز لشعارات جوفاء تستخدم للاستئثار بالحكم في البلاد العربية واليمن جزء من الوطن العربي حيث يقول: (والحرية والديمقراطية تهدى جبا) ومعنى (جبا) أي بدون مقابل، تهدى من الشعب المغصوب على أمره وهو رمز دلالي بديع يكشف الزيف الديمقراطي والادعاء بالحرية، فلمن تهدى هذه الديمقراطية، وضحها الشاعر بقوله تهدى (على طبق من ذهب للفأس والمهربة) فـ (الفأس) معروفة و(المهربة) هي مرادف لها في المعنى العامي لليمن، وكلاهما رمزان للطغيان والاستبداد، فالانتخابات لا يفوز بها إلا المتجبر والمستأثر بالقوة والمال.

ثم يصور الشعب وحزمه بقوله (والحزم لا بس وغصب عنه ثوب مرحبا) فكلمة (مرحبا) باللهجة العامية تعني الطاعة وهي رمز دلالي لخنوع الشعب والامتثال للأنظمة القمعية التي تدعي الديمقراطية.

ثم يختم القصيدة بقوله (ومن يشوف صورة الآتي بعين ثاقبة) بمعنى من ينظر إلى المستقبل بعين المتفكر والرَّائي ببصيرته النافذة والمكتشفة لما يبطنه الواقع المعاش (لعن أبو الانفلات وشاب بعز الصبا)،

فالشاعر ينهي قصيدته بشتم التسيُّب والانفلات، الذي هو رمز دلالي للفوضى حيث لابد من ضبط أمني يحمي الحقوق ويحقق العدالة فالأمن هو عمود قيام الدولة المنشودة. ويتحول من متطلع لغد أفضل في بداية عمره إلى كهل في عز صباه نتيجة الكارثة القادمة في عين المتأمل. ويرمز بدلالته الشاعر إلى ضياع العمر والحقوق نتيجة ضياع الدولة.

فالفتيح يسوق رموزه من الواقع المعاش ليبدع دلالا ته من خلالها، وأن اليمن المأمول تحفه الغيوم ما لم يتنبه أبناؤه لذلك فالعواقب لا تبشر بخير أبدا.

ومن قصائده الإنسانية بعنوان (خارج التاريخ) حيث يقول:(٣٠)

لُطْفَكْ بأُمَّةْ أبي القاسم يا مولى الكرم
فبعدْ ما كانْ جبينْ الشمسْ لها مُسْتَحَمْ
وحبلكْ الأقوى والأمتنْ لها مُعْتَصَمْ
منْ شَطِّ دجلهْ نُشِيْرْ للغيمْ إنْ مَرَّ ثَمْ
شَنْشَنْ على الأندلسْ والسِّنْدْ وأرض الهَرَمْ
واروى الحقولْ فالجنى مصيرُهْ ليْ كَيْفَاً وكمْ

فالشاعر يرمي برموزه الدلالية وإيحاءاته التي يرفدها في النص الشعري إلى تاريخ الأمة التليد الذي كانت سيادته تعم معظم العالم بفضل الاعتصام بحبله تعالى فالغيم إذا مر في شطوط دجلة وأمطر على الأندلس وأرض السند وأرض مصر وأروى كل الحقول، فالجنى سيكون مصيره ومرجعه إلى خزينة الدولة العربية، وهو رمز دلالي لامتداد جغرافية الدولة العربية في زمان العزة والكرامة، والشاعر هنا متأثر بقول الخليفة هارون الرشيد يخاطب السحابة (أمطري حيث شئت فإن خراجك آت إلي)، ونستنتج بعد كل هذه التداعيات إلى حالة الأمة ومقارنتها بماضيها التليد وكيف حالها اليوم بعد أن انفرط حبل اعتصامها بالله واستمسكت بالهوى فكان الهوان وكانت المأساة الواحدة في الوطن العربي الواحد.

المبحث الثاني: إبداع الدلالة في الرموز الحيوانية:

ونقصد بالرموز الحيوانية التي استقاها الشاعر من الجنس الحيواني.

وقد أولى الشعراء الرمز العناية التي يتطلبها فالمشاكل السياسية ألجأت الشعراء الى استخدام الرمز الحيواني خوفا من بطش السلطات ونأيا بالنفس عن المجابهة، وخاصة في القضايا التي يُحضر النقاش فيها في الأنظمة القمعية.

وشاعرنا يتناول كثيرا من هذه القضايا كونه عاش في مراحل مفصلية من تاريخ الأمة داخليا على مستوى اليمن، وخارجيا على مستوى الوطن العربي والعالم بأسره. ولكونه متأثرا بأحداث بلاده التي كانت شغله الشاغل فقد تناول كثيرا من الأمور متخفيا خلف رموزه الإبداعية وخاصة الحيوانية ذات الدلالة المعبرة عن حال البلاد في فترة من تاريخ بلاده التي مازالت في تقلباتها حتى اليوم .

ففي قصيدة ساخرة بعنوان (باشة الضان، مرثية كبش)، قوله:(٣١).

سِيدْ الكباشْ في الأرض وباشة الضَّان

نم مستريح البال قرير الاعيان
واهْنَأْ بتكريم مالقوشْ إنسانْ
صلت على روحك (صَرُوْرْ) و(غِرْبَانْ)
وكفَّنَكْ ابن الصَّميلْ بريحان
وناح عليك الكل شُيَّبْ وشبَّانْ
وغطت القرية غيوم الاحزان
فرحنا نستمطرها صبرْ وسلوانْ
والرحمة والغفران لباشة الضان

فكلمة (باشا) من الألقاب التركية القديمة المنتشرة كثيرا في مصر العربية كأثر من آثار العثمانيين أيام حكمهم لمصر. وتعني في أيامنا هذه التبجيل والتفخيم والتوقير لمن تطلق عليه.

والكبش: واحد الكباش، وهو" فحل الضأن في أي سن كان، وكبش القوم رئيسهم وسيدهم"(٣٢).

يتكئ الشاعر خلف رمزه الظاهر بقوله (سيد الكباش) فهو يختار الحيوان ليرمز به لكبير القوم، والقصيدة هي مرثية ساخرة من الحيوان البشري المتمثل بالحاكم (المفترض) الذي يوقره في الظاهر بينما يهزأ منه في بعده الدلالي، فيسترسل في تطمينه أن ينام (مستريح البال قرير الأعيان) ؛لأن إنجازاته تغفر له خطاياه، وكيف لهذا الحاكم أن ينام مستريح البال بعد أن أهلك الحرث والنسل وورَّث الفاقة والجهل لشعبه، فالشعب الجاهل هو الذي يسهل انقياده، ولهذا دائما يسبح بحمده فاقدا إرادته، يمتدح الحاكم حيا وميتا، ثم يرمز بإبداعه الدلالي الساخر إلى أن روح الفقيد تصلي عليها (صرور) و(غربان)، فالصّرور جمع صرورة وهي: الحدأة، والغربان جمع: غراب وكلاهما رمزان مستمدان من الطبيعة يمثلان بطانة السوء التي يعتمد عليها الحاكم في تصريف شؤون الناس، ثم يرمز للشعب بكلمة (ابن الصميل) وهو رمز دلالي آخر يبدعه الشاعر، فابن الصميل يقصد به المُكْرَه والمُجْبَر على تنفيذ طموحات الحاكم مهما عادت بالضرر عليه، حيث يبالغ ـ حتى عند موته ـ في لَفِّ كفنه بالورود والريحان وأنواع الطيب.

ثم يستطرد بقوله (وناح عليك الكل شُيّبْ وشُبّانْ) أي ارتفعت أصواتهم بالبكاء عليه باعتباره فقيدا وطنيا، بل إن مظاهر الحزن ارتسمت وغطت غيومها سماء القرية، وهو يرمز بالقرية إلى البعد والانقطاع والعزلة، ومن يعيشون فيها هم أكثر الناس بداوة وبعدا عن التعليم.

فالشاعر يستخدم الرمز الحيواني ليبدع دلالته الرمزية بسخريته من الحاكم (المفترض) الذي لا فرق بينه وبين الحيوان، وإلا كيف يقهر شعبه ثم ينتظر منه الحزن والبكاء عليه، إنها المأساة الواحدة في الوطن العربي الواحد مع اختلاف النسب.

الطير:

لأن الشاعر من بيئة ريفية غناء تكثر فيها الأشجار المختلفة التي استوطنتها الطيور، فإن للشاعر علاقة روحية بهذه الطيور التي ألفها منذ نعومة أظفاره، حيث شكل الطير مساحة كبيرة في قصائده، والعلاقة بالطير علاقة فطرية حيث اتخذه رمزا إبداعيا لدلالات كثيرة يرمي بها إلى المقاصد البعيدة التي يريدها.

وقد أفرز حضور الطير بمسبباته "معاني سامية مردها الحب والصبوة، وكان له علاقة وطيدة بموضوع العشق، فارتبط هذا الحضور بالمرأة المثال، وكان صورة مستوحاة لها، كما تجلت إفرازاته على الصعيد العاطفي المتمثل بالحب وتجربة العشق وما يخلفه من ترح وفقد نتيجة للظروف السائدة"(٣٣).

ولذلك يقول مخاطبا(القُمْرِيْ) وهو من الطيور المغردة(٣٤):

وَاْ قُمْرِيْ غرِّدْ ما عليكْ مِنْ هَمْ
خِلَّكْ مَعَكْ وانْتَ بِقُرْبُهْ تَنْعَمْ
مُشْ مثلي أتْجَرَّعْ كُؤوسْ عَلْقَمْ
سَقِيْمْ بحاليْ بَسْ ربي يعلمْ

فعندما تشتد المعاناة عند الشاعر يستدعي مشاركة الطبيعة للتخفيف من الهم الذي يحمله فيخاطب (القمري) المغرد فوق أغصان الشجر حيث لا يشعر بالهم الذي يعيشه الشاعر، فهو في فطرية الحياة يلقط الحب ويغني ويعود إلى عشه مع أليفه في نعمة الحياة غير عابئ بمصاعبها، بينما شاعرنا يعيش حالة من البؤس حيث يتجرع في حياته الكثير من العناء ممثلة بكؤوس العلقم التي ذكرها، ويعيش حالة من المرض بعيدا عن أحبابه، فالبُعدْ أشدُّ إيلاما من المرض نفسه. والشاعر يبدع في مقارنته حيث رمز للحياة في واقع الطبيعة المتمثلة في العيش البسيط ل(القمري) وبين حياته في وطنه المُوْجَعْ.

ويتحدث عن (الجولبة) والجولبة هي اليمامة البرية القريبة إلى نفس الفلاح حيث يقول:(٣٥)

واْ جَوْلَبَهْ رِقِّيْ عَلَيْ نارْ الفراقْ تَكْوِيْنِيْ كَيْ
خِلِّيْ غَطَفْ مَنْ غيرْ وَدَاعْ فمتى متى يرجعْ إلَيْ

فالشاعر ينادي (الجولبة) اليمامة البرية، ومناداة الطير نوع من التشخيص الابداعي الاستعاري حيث يطلب منها أن تَرِفَّ بأجنحتها عليه لتخفف من ولوعه وشجنه وربما يسألها عن محبوبه الذي فارقه فتسبب الفراق باشتعال نار تكوي ضلوع الشاعر وهو يرى في رفيف الطائر نوعا من انسكاب الهواء الذي يعتقد أنه سيخفف عنه من ناره الملتهبة، وأما قوله (خلي غطف) فكلمة غطف باللهجة العامية تعني غاب عنه وغادر، والموجع أكثر حين تكون المغادرة دون وداع فهنا يتضاعف مخزون الألم عند الشاعر. والشاعر يستخدم رمز الطائر وينادية والنداء هنا نوع من التمني حيث لم يجد من العقلاء من يأنس إليهم في حياته ليخفف من ألم غربته الداخلية سوى (الجولبه).

ومن القضايا التي تطرق إليها بإيحاء غير مباشر ظاهرة الاغتراب مستخدما رمز الطير بقوله مخاطبا (العندليب) وهو من الطيور المغردة المشهورة(٣٦):

لَيْنَ اشتسافر وا عندليب
تذرْ شبابك ورونقه
تحيي به كَمَّنْ فلا جديب
ووكرك الوحشة تسحقه
يستحلفك غصنك الرطيب

بشبَّتِكْ لا تفارقه

فهي دعوة للشباب اليمني المهاجر في أصقاع الأرض باحثا عن لقمة عيشه الحلال، حيث يرمز لحركة الشباب اليمني بحركة الطائر(العندليب)، وهو طائر صغير الجثة، سريع الحركة، كثير الألحان، يسكن البساتين ويظهر في أيام الربيع؛ ولأنه كثير الحركة شبهه بحركة الشباب اليمني المتوقد الباحث عن العيش الحلال، في كل البلدان، والإبداع يتمثل عندما يصف إهدار الإنسان اليمني شبابه وزهرة عمره في إحياء جديب الأرض المهاجَرْ إليها، بينما الوحشة تسحق الوطن، في مقارنة مؤلمة، حيث يجعل من غصن اليماني الرطيب، الذي مازال غضا في بدايته، يجعله يستحلف صاحبه بشبابه أن لا يفارق الوطن في تشخيص إبداعي رائع، وصرخة غير مباشرة لرفض الاغتراب.

وفي نفس القصيدة يرفض الاغتراب ويتنقل بين الرموز الإنسانية والحيوانية والطبيعية والمزج بين أكثر من غرض في القصيدة الواحدة هي من خصوصيات الشاعر حيث يقول مخاطبا اليمني المهاجر:[٣٧].

أنت في أرضك كريم
في الشقا أو في النعيم
والمهاجر كاليتيم
مَهْجَلُهْ لا الليل دنا
آه ما مرَّ الرحيل

فالإنسان في أرضه يعيش كريما في حالتي الشقاء والنعيم في العسر واليسر، لأن الوطن يعتبر الأب للجميع الذي يحمل الخير والنماء والعطاء، وهو الهوية التي يتميز بها المواطن، فإذا غادره تتقلب عليه الأمور فيصير ببلد الغير كالذي فقد أبويه (يتيما)، واليتيم لا سند له، وبمغادرتهم الوطن يغادر معهم الأمل المتمثل بالمستقبل ويحل الليل الذي يرمز للعناء، حيث تظلم الدنيا ويتجرع الوطن مرارة الرحيل.

ويستدعي رموز الطبيعة (الريح) و(النجم) كعادة الشعراء الأقدمين، يستحلفها أن توصل رسالته للشباب اليمني المغترب، بقوله:[٣٨]

والريح حَلَّفْتُهْ ونجمْ سَحْرَهْ
يقول له يكفيك اغتراب وهِجْرَهْ

ويعلل سبب رفضه للاغتراب بقوله:[39].

وفي الجبال والسهول صدى حنين الغواني
لاحبابهن يا زمن
راحوا وخلوا الغيول تذرف دموع الهوان
على شباب اليمن

حيث نلمس أثر الاغتراب من خلال صدى حنين الغواني المفارقات لأحبابهن يتردد بين السهول والجبال التي تركوها ورحلوا إلى أرض الغير فصارت حتى الغيول تشارك الغواني هذا العناء ممثلا بتذراف الدموع، فالمياه الجارية في الغيول ماهي إلا دموع الطبيعة على شباب اليمن المهاجر وهنا يكمن الإبداع.

ويتمنى لليمني البقاء في أرضه بدعوة الخالق الذي وهب الطير عشق الوكر والارتباط به أن يهب اليمني نفس الوفاء للوطن، وهو معنى مستنبطا كما نلاحظ من طيور الطبيعة التي لا ترضى أبدا مفارقة أوكارها. حيث يقول:(40)

يا واهب الطير عشق الوكر

هب لليماني

معنى الوفاء للوطن

وهكذا نجد الشاعر يرفض الاغتراب في سياق حديثه عن الطيور لأن الطيور أكثر ارتباطا بأوطانها من بني البشر.

ومن قصيدته (إلى خير أمة) تتداخل الرموز الحيوانية والإنسانية عندما يتحدث عن الأمة العربية ويحشد رموزه الدينية والقومية والاشتراكية في سياق واحد حيث يقول:(٤١)

حُمَّهْ عليكْ أُمَّهْ

واعتصموا باللهْ نسفتيها

وَحْدَهْ وحُرِّيَّهْ ذَبَحْتِيْهَا

و يا كادحينْ صُفُّوا الصُّفُوفْ برضُهْ مَطَشْتِيْهَا

كبيضةْ ديكْ في ساحلْ عدَنْ

و اللهْ أعطاكِ النخيلْ والنفطْ والزيتون وأعنابْ الجزائرْ واليمن

و الشمس طولْ العامْ والأنهارْ

لكنْ للأسفْ في الصيف ضيَّعَتِ اللبنْ.

فالشاعر يبدأ بالتحسر على الأمة العربية، للحال التي وصلتْ إليهْ، فكلمةْ (حُمَّهْ) بالمعنى العامي تعني حسرتي عليك حيث يسوق لنا تجربة الأمة العربية التي عاشتها من خلال مجموعة من الرموز التي كانت شعارات التزمتها بعض الأنظمة العربية في فترة معينة حيث كل دولة تتبنى منهجا معينا وتتخذه شعارا لنهجها القائم آن ذاك، فقوله (واعتصموا بالله نسفتيها) رمز ديني مستمد من القران الكريم في قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) فالأمة العربية رفعت هذا الشعار كثيرا ولكن في النهاية لم تتمسك به كما يجب، ولهذا حل بها الهوان والتشظي والمعنى ملخص بقوله (نسفتيها) أي أُفرغ هذا النهج من مضمونه. ثم ينتقل إلى الرمز الثاني (وَحْدَهْ وحريه ذبحتيها) فالوحدة والحرية من الرموز التي تدل على القومية العربية التي استمرت لفترة من الزمن في الوطن العربي عند بعض الأنظمة وفي الأخير كان مآلها إلى (الذبح) كما صرح به الشاعر.

والرمز الثالث الذي أورده بقوله (يا كادحين صفوا الصفوف برضه مطشتيها) وهو رمز دلالي للأنظمة الاشتراكية التي تقف إلى جانب العمال والكادحين في بعض الأنظمة التي أخذت بهذا النهج ثم تخلّتْ عنه، يشير إلى ذلك بقوله (مطشتيها) أي ضربتِ بها عُرضَ الحائطْ وهو يرمز هنا إلى التجربة الاشتراكية في (جنوب اليمن) قبل الوحدة اليمنية ولهذا قال (كبيضة ديك في ساحلْ عدنْ) فبيضة الديك رمز حيواني يرمز

بها الشاعر إلى نظام تولَّد حيث كان مستحيلا أنْ يولَدْ، فبيضة الديك تشير لاستحالة الوقوع ورغم ذلك فالنظام الذي يقصده الشاعر استطاع القيام والبقاء لعقود من الزمن في أحد شطري اليمن، وكل هذه التقلبات التي مرّتَ على الأمة العربية ولم تحقق الغاية التي يتطلع إليها الشعب العربي رغم وجود الخيرات التي رمز لها الشاعر بـ (النخيل والنفط والزيتون والأعناب التي خصصها بالجزائر واليمن لشهرة زراعتهما فيهما وإلى ذلك تتواجد الطاقة الشمسية طول العام في الوطن العربي والأنهار التي هي مصدر المياه، ورغم كل هذه الثروات التي تعتبر مقومات لقيام دولة صناعية وزراعية تعتمد على نفسها، لم تجن الأمة العربية غير الحسرة) والشاعر يلخص ذلك في نهاية المقطع مستدعيا التراث ليرمز به لحال الأمة العربية، بقوله (لكن للأسف في الصيف ضيعت اللبن) وهو مثل يضرب لمن يفرط في شيء كان يقدر على تحقيقه ثم يعود لطلبه بعد فوات الأوان. فشاعرنا يمتلك حسا وطنيا يوظف من خلاله تاريخ الأمة العربية التي ضيعت إمكاناتها وطاقاتها فيما لا يفيد بإبداع دلالي رمزي غاية في الروعة.

وفي نهاية القصيدة يتحدث الشاعر عن نفسه رغم كل المعاناة التي تعيشها الأمة العربية وفي أغلب قصائده نلحظ الممازجة بين الإنساني والحيواني في تناولاته، فما يكاد يفرغ من دلالة إنسانية إلا ويشركها بدلالة حيوانية كما هي طبيعة الشاعر، حيث يقول:(٤٢).

واللي عشقْ مثلي جذورهْ
مَهْرَبُهْ مِنَّكْ إليكْ
عساني بالحرف النبيلْ
أساني تلمك العوجاء
وذا قدري وَنَا أعرفْ أَنَّ
جوفَ الكلبْ لحدي والكفنْ

فالجذر رمز دلالي يبدعه الشاعر للوطن فهو يعشق أصله العربي الذي يستحيل أن يتخلى عنه مهما ابتعد عنه بهجرة أو اغتراب فلا بد من العودة إلى الأمة العربية الواحدة.

ثم يرمز بـ (الحرف النبيلْ) إلى الكلمة الصادقة والناقدة في قصائده الشعرية التي تحمل قول الحق دون خوف أو محاباة، حيث يقول (عساني) وهو فعل للرجاء الممكن الوقوع أي لعله يحقق نوعا من المعالجة في مسار الأنظمة الحاكمة التي أثقلت كاهل الأمة العربية، ومعنى (أُسَانِيْ) أي أجعله مستقيما بمعنى تقويم اعوجاج الأنظمة المتسلطة في مسار تطلعات الأمة و(التِّلْمْ) هو خط المحراث في الحقل الزراعي، والعوجاء رمز إلى الخلل في مسار الأمة، فالشاعر يريد بقصائده وبشعره وحرفه النبيل أن يُقوِّم اعوجاج الأنظمة ويجعلها مستقيمة النهج فيما ينفع الشعوب العربية التائهة في مسارها، رغم أن نقده هذا يعرضه للمساءلة ويعرضه للخطر فكل من ينتقد الأنظمة العربية مآلة إلى التصفية الجسدية والشاعر مقتنع بهذه النتيجة بقوله (وذا قدري) وهو رمز دلالي لاقتناع الشاعر بقدره مها كان مؤلما لأن الواجب الديني والوطني والإنساني يفرض عليه ذلك وهو متأثر بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)، ولسان الشاعر قد أدى الواجب الذي عليه رغم

أن من ينقد الأنظمة العربية نهايته المعروفة كما قال الشاعر (أن جوف الكلب لحدي والكفن) وهو رمز دلالي حيواني يبدعه الشاعر لنهاية كل من ينقد الأنظمة المستبدة فقبره سيكون في جوف الكلب لأنه سيقتل وسيرمى طعاما للكلاب فأقل عقاب لأصحاب الكلمة المؤثرة يؤول إلى جوف الكلب، فالكلب الذي يقوم بحراسة الإنسان وحمايته حفظه يتحول إلى قبر له وهو إبداع دلالي محزن حيث أصحاب الكلمة المؤثرة الذين يجب تكريمهم يكون جوف الحيوان هو المصير المحتوم له.

فكل وطني يأبى أن يرى الأمة في انكسارها وينقد اعوجاج أنظمتها تكون نهايته في بطون الكلاب الجائعة، ورغم ذلك فالشاعر مقتنع بمساره وتضحياته في سبيل الأمة، وهنا تكمن الوطنية الحقة وهنا يكمن الإبداع الدلالي لدى الشاعر والمتمثل بالتضحية في سبيل الأمة ورفضه انكسارها مهما كانت النتائج عليه.

خاتمة

. استخدم الرمز الإنساني بكل ما يحمل من دلالات الألم والحزن ورفض الظلم والسعي إلى الحرية.

. تحدث عن المرأة وجعلها معادلا موضوعيا لحب الوطن وعبر بها عن كثير من قضاياه.

. تناول كثيرا من القضايا وخاصة السياسية في مراحل مفصلية من تاريخ الأمة داخليا على مستوى اليمن وخارجيا على مستوى الوطن العربي والعالم، حيث حشد كثيرا من الرموز الدينية والقومية وغيرها التي كانت سائدة في تاريخ الأمة ويقارن بين ماضيها الزاهر وحاضرها المؤلم.

ـ ولأن الشاعر ابن بيئة ريفية فقد استخدم الرموز الطبيعية (الحيوانية) في قصائده حتى في القضايا السياسية.

ـ استخدم الطير رمزا إبداعيا للدلالة على الحياة الفطرية التي يعيشها في الطبيعة، بينما الشاعر يعيش البؤس والشقاء في وطنه، واستخدمه لدلالات كثيرة.

ـ من خلال أبياته التي يحاكي فيها الطيور يتنقل بين الرموز الحيوانية والإنسانية والطبيعية وخاصة في تناوله الغير مباشر لقضية الاغتراب.

ـ من جماليات إبداع الدلالة الرمزية في شعر الفتيح إضفاء شيء من الإيحائية عليها متهربا من مسؤولية التصريح، ومجسدا المعاني المختلفة لخلق نوع من التأثير في المتلقي.

ـ ومن خلال توظيف الإنساني والحيواني في قصائده تكشفت لنا شخصية الشاعر أنه إنسان يحب وطنه ويحترم إنسانيته ويقدس تاريخه ودينه والتضحية في سبيل ذلك.

الهوامش:

– الدلالات الرمزية في القصة القصيرة (زيد مطيع دماج أنموذجا)، د. عبدالعزيز المقالح، مجلة درا سات يمنية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، العدد ٤٩، ٢٠٠٩م، ص٩.

– زمن الشعر، أدونيس، دار الساقي للنشر والتوزيع،٢٠٠٥م، ص١٠٦.

– استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العرب ي المعاصر، علي عشري زائد، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٨م، ص١٠٤.

- الرموز الطبيعية ودلالاتها في شعر يحيى السماوي، رسول بلاوي، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد ٢، ١٤٣٦هـ، ص١٨٦.
- الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، أحمد محمد فتوح، ط٣، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٤م، ص ١٣٤.
- المرأة الرمز في شعر رشدي العامل، علي إبراهيم محمد، راسم أحمد عبيس الجرباوي، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بابل، المجلد ٢٣، العدد ٣، ٢٠١٥م، ص١١٥٣.
- فن الشعر، د. إحسان عباس، دار الشرق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط٤، ١٩٨٧م، ض ٢٣٨.
- الصومعة والشرفة الحمراء، نازك الملائكة، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م، ص١٦٧.
- المرأة الرمز في شعر رشدي العامل، مرجع سابق، ص١١٥٣.
- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٧، ٢٠٠٩م، ص١١.
- المرجع نفسه: ص١١ .١٢.
- المعجم الأدبي، جبور عبدالنور، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٣م، ص١٨٣.
- الرمز الشعري لدى محمود درويش (الرمز الطبيعي)، رشيدة أغبال، مجلة علامات ٢٦، ص١٤٩، يريدها الإلكتروني (S-BEUJRAD@YAHOO.FR)
- الشعر العربي المعاصر ظواهره وقضاياه الفنية والمعنوية، عز الدين اسماعيل، دار العودة ـ بيروت، ١٩٧٢م، ص١٩٨.
- الرمز التاريخي ودلالته الرمزية في شعر عزالدين ميهوبي، إعداد: السحمدي بركات، رسالة ماجستير الجزائر، ٢٠٠٨.٢٠٠٩م، ص١٠٢.
- ديوان الشاعر، ص، ٩٠، ٩١.
- ديوان الشاعر: ص٨.
- دلالة الرمز في الديوان الشعري (للؤلؤة) لعثمان الوصيف، رسالة ماجستير في الأدب واللغة العربية، إعداد. حماني هجيرة، جامعة محمد خيضر الجزائر،٢٠١٥ .٢٠١٦م، ص٢٨.
- ديوان الشاعر، ص ١٠
- ديوان الشاعر، ص ٢٨.
- المرأة الرمز في شعر رشدي العامل، علي إبراهيم، راسم أحمد عبيس الجرباوي، مجلة بابل، العلوم الإنسانية، المجلد ٢٣، العدد ٣، ٢٠١٥م، ص ١١٥٤.
- الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، د. عزالدين اسماعيل، دار العودة، بيروت، ط٣، ١٩٨١م، ص ٢٠٠.
- ديوان الشاعر، ص ٤٧.
- المرأة الرمز في شعر رشدي العامل، مرجع سابق، ص ١١٥٤.
- ديوان الشاعر، ص ٢١.

– لسان العرب، مادة (ف س ل).
– ديوان الشاعر، ص ٦٤،٦٥، ٦٦.
– ديوان الشاعر، ص ٨٣، ٨٤، ٨٥.
– ديوان الشاعر، ص ٩٧، ٩٨.
– ديوان الشاعر، ص ٨٠.
– لسان العرب، مادة (ك ب ش).
– جماليات التغزل بالرموز الأنثوية في الشعر الجاهلي، د يحيى معروف، جامعة رازي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مجلة: فصلية النقد والأدب المقارن، العدد ٣، ٢٠١٢م، ص ١٠.
– ديوان الشاعر، ص ٤١.
– ديوان الشاعر، ص ١٩.
– ديوان الشاعر، ص ٤٤.
– ديوان الشاعر، ص ٣٩، ٤٠.
– ديوان الشاعر، ص ٤٢.
– ديوان الشاعر، ص ٥٥.
– ديوان الشاعر، ص ٥٥.
– ديوان الشاعر، ص ٣٥ .
– ديوان الشاعر، ص ٣٦.